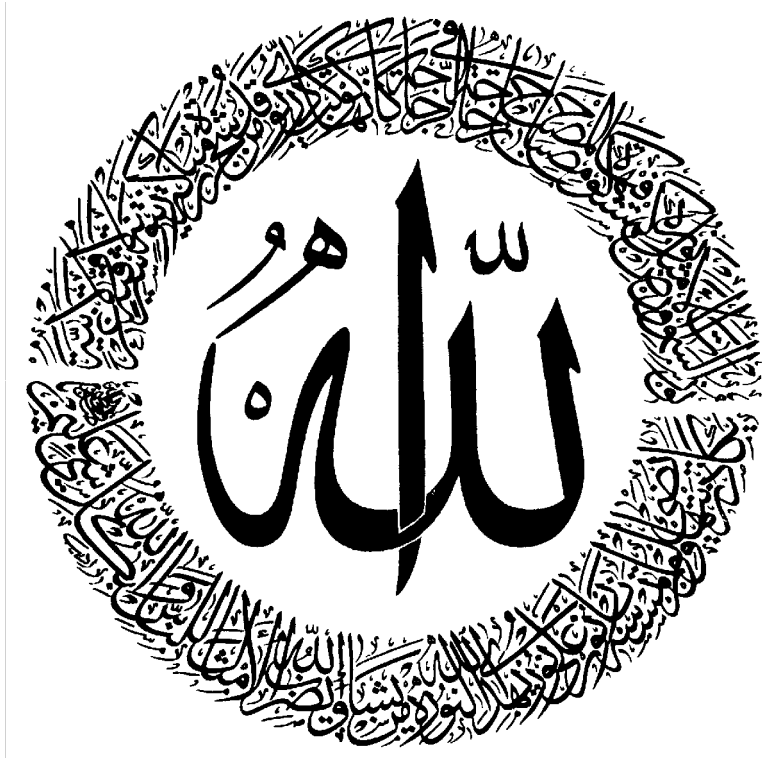


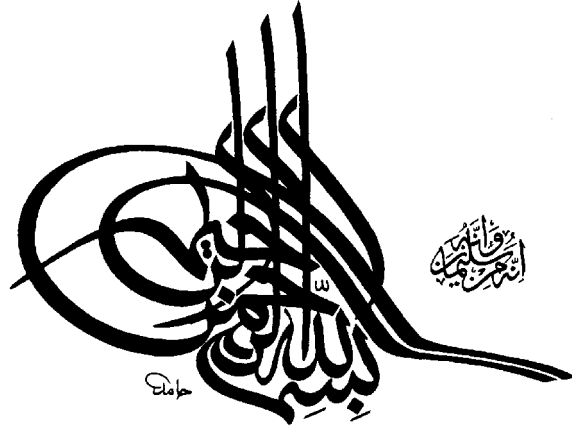
بداية تكون الخط

العربي



إعداد :

بخيت مبارك الدوسري

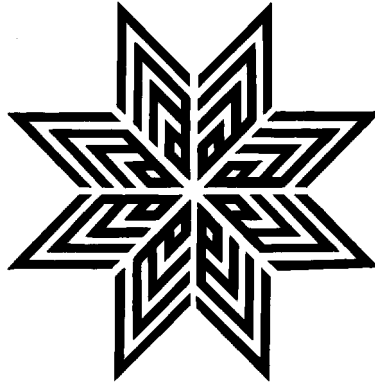


الخط العربي فكرة عامة - نشأته

• مقدمة :

إن الدراسات التي كتبت عن الخط العربي وتطوره منذ القرن الماضي حتى اليوم ما تزال ناقصة لم تحل الغموض الذي يحيط بطرائق الخط المختلفة حلاً كاملاً ، لأن الذين كتبوها اعتمدوا على الأغلب على مصدر واحد من مصادر الخط ولم ينظروا إليه من المصادر كلها معا . فبعضهم درس الخط العربي من خلال أوراق البردي وفريق ثان درسه من خلال الكتابات القديمة على المباني والأحجار وفريق ثالث درسه من خلال المخطوطات القديمة والمصاحف وفريق رابع درسه من خلال النصوص النظرية التي وردت في الكتب التي تحدثت عن الخط وفريق خامس اعتمد على مصادر فارسية وتركية مهملات المصادر العربية وكان بعض هؤلاء لا يتقن اللغة العربية فلم يفهم معنى أسماء بعض أساليب الخط واستنتج نتائج عجيبة وكثير منهم قرأ الكتابات القديمة أو النصوص قراءات خاطئة وهكذا أغفل كل فريق بعض الأمور التي لم تقدمها له المصادر التي اعتمد عليها وقل إن نجد باحثاً اعتمد على المصادر التي اعتمد على المصادر جميعاً في آن واحد مع اطلاعه الجيد على اللغة العربية ومعرفة دقائق معانيها .

ولما كان الخط العربي واحداً في أساسه ، سواء كان في المصاحف أو البرديات أو المخطوطات أو الكتابات على الأحجار أو غيرها كان لابد عند البحث في الخط العربي وتطوره من الرجوع الى جميع المصادر معا التي ظهر فيها ومقارنة النماذج المختلفة ذات الأسلوب الواحد الصادرة من المصادر كلها .



لذلك ينبغي أن نستعمل في هذه الدراسات :

- ١- المصاحف القديمة على اختلاف عصورها .
- ٢- أوراق البردي الإسلامية .
- ٣- الكتابات التي نقشت على المباني أو النصب التذكارية أو الجدران أو شواهد القبور أو الأضرحة والمنابر ، سواء نقشت على الحجر أو الجص أو الخشب .
- ٤- الكتابات التي ظهرت على النقود
- ٥- الكتابات التي ظهرت في الأقمشة والطرز .
- ٦- الكتابات التي ظهرت في الآثار المنقولة : (كالفخار - والموازين - والسرج - والوانى - والخواتيم - والوانى النحاسية - الزجاج - والأخشاب - والسيوف - الأطباق) .
- ٧- الكتابات التي ظهرت في الآلات العلمية كالاسطولوجيات .
- ٨- الرسائل النظرية التي ألفت خاصة عن الخط العربي في خلال العصور .
- ٩- الكتب التي تحدثت عن الخط عرضاً أو أفردت له فصلاً خاصة .

١٠- أن تجري دراسة ذلك كله عَصراً عَصراً وبتدرّج تاريخي .

ولقد انتشر الخط العربي في رقعة كبيرة جدا من العالم ، انتشر في الجزيرة العربية وانتشر في الشام وانتشر في العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر والسند وانتشر في أرمينية والقوقاز وديار بكر وأسيا الصغرى وانتشر في مصر وإفريقيه (تونس) ٩ والمغرب الأقصى والسودان وانتشر في الأندلس وجنوب فرنسا وصقلية .

وبالجملة انتشر حيث انتشرت اللغة العربية نفسها وحيث رفت الحضارة الإسلامية العربية ولقد استطاع الخط العربي أن يتغلب على الخطوط التي كانت شائعة قبله في البلدان المفتوحة فيمحوها تارة أو يسود عليها أحيانا كما فعلت اللغة العربية نفسها في اللغات المحلية السابقة .

وقد اتخذ الخط العربي في هذه الأقاليم المختلفة أساليب أو طرائق يختلف بعضها عن بعض اختلافا بسيطا ص مع قيامها كلها على أصل واحد فالخط الكوفي الأندلسي يختلف قليلاً عن الخط الكوفي القيرواني ن وهذان يختلفان عن الخط الكوفي الذي كتب في دمشق أو بغداد أو القوقاز .

ولقد تطورت بعض الأساليب في بعض البلدان وازدهرت وتخلف بعضها في بلاد أخرى وجمدت حسب مد الحضارة التي وصلت إليها وانحساره عنها . وكذلك أثرت المادة التي كتب عليها في تطور الخط ونوعه فاختر للمادة التي يسهل الكتابة عليها أساليب من الخط سهلة ، استطاع الفنان المسلم أن يتفنن بها في حين حفظ للمادة القاسية ما يوافقها من أساليب الخط .

فعند بحثنا عن الخط العربي لا بد لنا من مراعاة هذه الأساليب التي تميزت بها الأقاليم الإسلامية المختلفة ، وأن ندرسها ونقارن بعضها ببعض ونوضح ما أثرت المادة المكتوب عليها في انتقاء أسلوب وترك أسلوب آخر .

والخط العربي أصبح فنا بعد نشأته وتطوره فنحن نعجب بالخط الجميل مهما كان نوعه كما نعجب بلوحة زيتية أو منظر طبيعي جميل أو امرأة فاتنة وعند البحث في الفن لا بد من دراسة الفنان الذي ابدعه فالخطاطون المسلمون كانوا جميعاً فنانيين وإن تباينت مقدرتهم الفنية أو رهافة أدواقهم ورغم أنهم كانوا يخضعون إلى قواعد عامة أو خصائص مدرسة معينة فإن كل واحد منهم كان له طاقته الفنية وطابعه الخاص وخصائص شخصية أظهرتها - إلى حد ما - البيئة التي عاش فيها الخطاط بل أعتقد أن كل خطاط عكس في خطه البيئة التي عاش فيها أو أن كل خط عكس المجتمع الذي ظهر وازدهر فيه أو الحضارة التي شعت في ذلك العصر وقد يعكس الخطاط هذا كله دون تعمد أو قصد ن لأنه أصبح شيئاً ينبع من عقله وقلبه ويجري مصوراً علي يده بحرية تامة تظهر في تلك الانعكاسات المختلفة انعكاسات شخصية الفنان وانعكاسات البيئة والحضارة والثقافة ولا يقيدتها إلا القواعد العامة لكل خط .

فعندما نبحث في تاريخ الخط العربي وندرس تطور الأشكال التاريخية للخط ينبغي أن لا نهمل شخصية الفنان الخطاط ، وأن ننظر عن خصائصه وطابعه والمؤثرات المختلفة التي أثرت فيه حتى طبعت خطه بذلك الطابع أو جعلته يطور الخط أو يبدع فيه .

حاشية الباحث

والأساس الأول الذي ينبغي أن تقوم عليه دراسة الخط العربي هو المشاهدة المباشرة للنماذج الخطية ومقايسة بعضها ببعض ثم استنتاج قواعد الخط ، وخصائص الأساليب المختلفة وطرق تطورها .

ذلك أن الاعتماد على الكتب النظرية والتاريخية وحدها لا يوصل إلى نتائج مرضية فهي تغرق الباحث في بحر من النظريات والفرضيات والمناقشات

والطريق القويم هو المشاهدة المباشرة ثم البحث عن القاعدة وهنا يمكن الرجوع إلى الكتب النظرية لتأييد استنتاجاتنا أو توضيح بعض ما غمض علينا .
فكما أننا في دراساتنا التاريخية يجب أن نبحث عن الوثائق والمصادر الأولى أولاً ثم نحلل ونستنتج فكذاك ينبغي أن نفعل في دراساتنا عن الخط العربي النموذج الخطي قبل كل شيء ولا يمكننا الاعتماد على المصادر النظرية وحدها إلا عندها نفقد النموذج الخطي .
والمشاهدة المباشرة للنماذج الخطية ، والرجوع إلى المصادر النظرية لتأييد أو توضيح ما وصلنا إليه يوجب علينا أمرين :

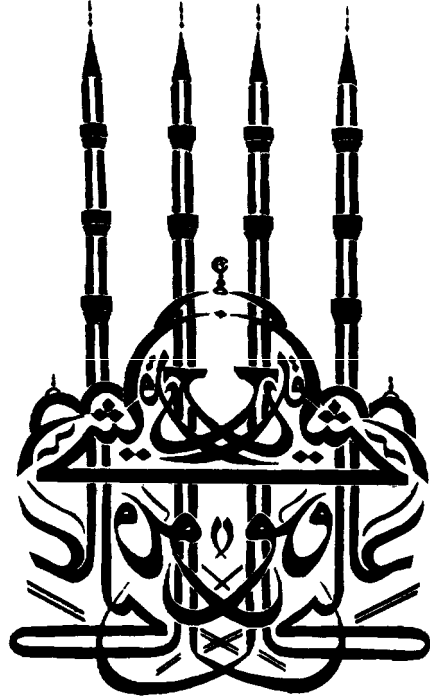
الأول : أن تكون جميع نماذج الخط العربي ، في مختلف أساليبه وطرائقه وأقاليمه وفي مختلف العصور مجموعة مصورة تصويراً جيداً يبين تفاصيلها ، مرتبة ترتيباً تاريخياً حتى تكون بين يدي الباحث .
وقد صدرت مجموعات متفرقة من هذا النوع روعي في بعضها الشروط العلمية والدقة ولكنني اعتقد أنه لا بد من القيام بهذا العمل بشكل أوسع وأن يراعي أخذ النماذج المرتبة تاريخياً من جميع مصادر الخط التي ذكرناها لا من مصدر واحد .

الثاني : أن تجمع جميع النصوص النظرية المتعلقة بالخط وخاصة الرسائل المفردة الخاصة به فرغم أن بعضها قد نشر إلا أن الكثير منها ما يزال مخطوطاً وإذن فلا بد من توجيه العناية إليها للبحث عنها ونشرها لأنها تساعد كثيراً في توضيح مهمتنا وتسهيل دراساتنا .

فإذا توفرت هذه الشروط واتبعت هذه الطريقة في الدراسة أمكن وضع كتاب نهائي عن الخط العربي وتطوره لأن المنهج يكون واضحاً والمواد الأساسية موجودة والنتائج مضمونة .

نشأت الخط العربي قبل الإسلام

قبل أن نبحث في أساليب الخط العربي يجدر بنا أن نعرف بصورة سريعة كيف نشأ الخط العربي .



تذهب المصادر العربية القديمة مذاهب شتى في وضع الخط العربي أو اشتقاقه منها ما هو أقرب إلى الأسطورة منه إلى الواقع ومنها ما لا يقوم على أسس علمية ثابتة ولن نتعرض هنا إلى القسم الثاني فنجد فيه مايلي :

- ١- أن الخط العربي وضع متأثراً بهجاً السريانية .
- ٢- أو أنه انتقل من الأنبار إلى الحيرة ومنها إلى الحجاز بطريق دومة الجندل .
- ٣- أو أنه اقتطع من الخط المسند الحميري الذي كان في اليمن ولذلك كان يسمى (الجزم)

وتذكر المصادر أسماء الأشخاص الذين وضعوا حسب الروايات المختلفة الخط أو نقلوه أو اقتطعوه من خط آخر أو نشره ولا يهمننا من أمرهم الكثير فالاهم أن نناقش المسألة من أساسها ونعرف :

١- هل تأثر الخط العربي بالسريانية ؟

٢- أو هل انتقل من الأنبار إلى الحيرة ثم الحجاز .

٣- أو هل اقتطع من المسند الحميري ؟.

إن دراسة هذه الامور لا يمكن أن تكون إلا بطريق مقارنة الخط العربي بالخطوط التي سبقته سواء أكانت من أسرة الخط الآرامي أو من أسرة الخط الحميري المسند .

وقد قام بهذه الدراسة المقارنة علماء ثقاة ولا نود أن نعيد دراستهم هنا بل نذكر نتائجها ، فقد انتهوا إلى الخط العربي لم يتأثروا أو يقتطع من الخط السرياني على ما فيهما من فروق أو تشابه

والحيرة كانت لا شك مركزا حضاريا وكانت الكتابة من ثمرات الحضارة التي كانت فيها لكنها كانت تدين النصرانية وكان أهل يكتبون السريانية أو بما سمي بالخط الحيري فلو انتقلت الكتابة من الحيرة لا تنقلت السريانية أو ما يقاربها ولم تصل إلينا نصوص حيرية من خطوط الحيرة والأنبار حتى نقارن بينها وبين الخط العربي القديم هذا فضلا عن بعد الحيرة والأنبار عن مكة ولا بد في مثل هذه الأمور الحضارية من اتصال دائم مباشر ولم يكن الأمر كذلك بين مكة والحيرة .

وكذلك دلت الدراسات المقارنة على ان الخط العربي لم يقتطع من الخط المسند الحميري أو فروعه التي عرفت عند الثموديين والصفويين واللحيانيين فهناك اختلاف كبير في شكل الحروف وتركيب الكلمة بين الخط

العربي وهذه الخطوط وإذن فإن هذه الدراسات العلمية الحديثة القائمة على مقارنة الأبجديات السامية الجنوبية غيرها من الأبجديات الآرامية بالاستناد إلى الكتابات التي اكتشفت حتى الآن لا تؤيد هذه المذاهب التي نجدتها في مصادرنا العربية النظرية

على ان هذه الدراسات المقارنة رجحت أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي بل هو آخر شكل من ذلك الخط .

فمن هم الأنباط ومن أين جاء خطهم وكيف أخذه العرب عنهم وطوروه فصار عربياً ؟

كان الأنباط من العرب أغاروا في العصر الهليني على البلاد الآرامية في فلسطين وجنوب الشام ثم دخلوا شرق الأردن فكانوا في شمال الجزيرة العربية وجنوب الشام

وكانت لهم حاضرتان سلع ، أو البتراء في الشمال **petra** والحجر أو مدائن صالح في الجنوب وكانت هذه المنطقة يومئذ عامرة بالأشجار والمياه وفي القرن الرابع ق م كانوا يهيمنون على طرق التجارة بين جنوب الجزيرة العربية حتى البحر الأبيض وبين الشام ومصر وقد ازدهرت مملكتهم بسبب عامل اقتصادي أثر في ذلك هو أن المواد الثمينة كانت تنقل من الهند وافريقية الشمالية إلى اليمن ومن اليمن إلى البحر الأبيض بطرق تمر من مملكة الأنباط أهمها طريق صنعاء - مكة - يثرب - العلا - الحجر - أي مدائن صالح - سلع ومن سلع كانت البضائع توزع إلى مصر أو

اليونان أو ايطاليه أو الشام وكانت البضائع خاضعة لرسوم مالية تدفع للحكومة النبطية .

وقد ظلت هذه الطريق التجارية بين مكة ويثرب والشام تسلكها القوافل حتى بعد ظهور الإسلام وظلت أيضاً الطريق التي تتبعها قوافل الحجاج بين الشام ومكة وعلى هذا فقد اجبرت هذه الطريق عرب الشمال أن يمروا دائماً في رحلاتهم عبر مدائن صالح وبلاد الأنباط في الذهب والأياب وأن يقتبسوا منهم أساليب الحياة وطرق الكتابة وخاصة أن الأنباط كانوا قوماً من العرب لا يخشى عرب الشمال الاقتباس منهم أو تقليدهم ولا يجدون في ذلك عيباً أو عاراً

وقد ادى ازدهار مملكة الأنباط وتدفق المال عليها إلى اتباعها في القرن الثاني قبل الميلاد سياسة الغزو فسيطرت على جميع الطرق التي تمر منها القوافل التجارية وفي حوالي عام ٨٥ ق م كان الملك النبطي حارثة الثالث على الأغلب يحتل دمشق وكانت يومئذ عاصمة السلوقيين فسيطر بذلك على الطريق بين سلع ودمشق عبر مأدبة وعمان وبصرى ثم مالبت بصرى أن أصبحت مركزاً تجارياً مهماً إلى جانب سلع والحجر .

وقد تآثر الأنباط بالحضارة الآرامية لكنهم مالبتوا أن تمثلوا هذه الحضارة وابتدعوا حضارة جديدة لهم ولعل مبانيهم الضخمة في سلع ومدائن صالح

هي بعض آثار تلك الحضارة فهي تعد من أروع ما أنتجه الفن المعماري في جزيرة العرب وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى هذه القصور المنحوتة في الجبال في قوله تعالى (وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين) الشعراء ٢٦ وظلت مملكة الأنباط قائمة من العصر الهليني إلى سنة ١٠٦ بعد الميلاد حيث هزمهم الرومان واستولوا على قسم من مملكتهم لكن الحضارة النبطية ظلت قائمة

إذا رجعنا في أبحاثنا إلى شكل الكتابة في العصور التي سبقت عصر التاريخ لم نجد أثراً يحقق ظننا وأن كنا نعلم أن الكتابة كانت معروفة منذ خلق الله آدم لأن الله عمله كل ما يحتاج إليه وأنزل عليه وعلى الرسل بعده صحفاً مسطرة ولكن لم يبق لها أي أثر .

وقد عاش الإنسان حيناً من الدهر لم يعرف الكتابة بالنظر لعدم حاجته إليها ولكنه لما تقدم في حضارته وأخذ يتنقل من مكان لآخر ويتعرف على أقوام آخرين ألزمته الحاجة إلى وضع رموز يرسمها للدلالة على فكرة أو شيء أو مكان وكان أول تعبير من هذا القبيل رسم الشيء نفسه فسميت هذه الكتابة بـ (الكتابة الصورية) وأخذت الأقوام القديمة تعبر عن أفكارها وحاجاتها على هذا الشكل فكانت الكتابة (الهيروغليفية) و (الحثية) و (

الصينية) و (الآشورية) وأخيراً جاء الفينيقيون فوضعوا أشكالاً للحروف مقتبسة من الخط الهيروغليفي على رغم بعض المؤرخين ولكن أحد المستشرقين الألمان واسمه (مورتر) يقول : إن الفينيقين لم يأخذوا الحروف من الهيروغليفية بل من الكتابة العربية الحميرية فإذا صح هذا القول تكون الحضارة العربية أقدم الحضارات - ويكون العرب هم باعثوا المدينة والحضارة القديمة .

أما عن الخط العربي :

فهناك روايات متعددة منها :

١- إن أول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من قبيلة طيء كانت تسكن الأنبار وهم مرارة بن مرة - أسلم بن سدره - عامر بن جدرة - فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فالأول وضع أشكال الحروف والثاني فصل ووصل والثالث وضع الأعجام ، وسموا هذا الخط (الجزم) أي القطع لأنه متقطع من الخط الحميري .؟

٢- وقيل إن أهل الأنبار تعلموا الخط من أهل الحيرة وقيل على عكس ذلك .

٣- وقيل انتقل الخط الحميري إلى الحيرة في عهد المناذرة والحميرية هي خط أهل اليمن في زمن نبي الله هود عليه السلام وجاء ذكر مدينتهم (

٤- إرم) في القرآن الكريم وكان مسكنهم الأحقاف وهم في عرف التاريخ العرب البائدة أو العاربة وكانت كتابتهم تسمى (المسند الحميري)

قال المقرئ في كتابه (الخطط) القلم المسند : هو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد .

دخول الخط العربي إلى الحجاز :

أجمع المؤرخون على أن أول من حمل الكتابة إلى مكة هو : حرب بن أمية بن عبدشمس) وكان قد تعلمها .

الخط العربي في صدر الإسلام :

كان ممن تعلم من حرب وبشر عدد كبير من قريش قال المؤرخ البلاذري : (دخل الإسلام وفي قريش (١٧) سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب) وعدد قليل من النساء منهن (الشفاء بن عبدالله العدوية) وأم المؤمنين (حفظة العدوية)

وغيرها عدد قليل من النساء القرشيات وفي يثرب (المدينة المنورة) عدد من الرجال منهم زيد بن ثابت وسعيد بن زرارة وغيرهم وكلنا نعلم قصة الأسرى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الدعوة التي طورت العرب من بداوتهم وجعلتهم أمة متحضرة عريقة في الحضارة فانتشر العلم وتقدمت الأمة الإسلامية في فتوحاتها فانتصرت على الفرس والروم واتصلت حضارتها بحضارتهم وكان لا بد للخط العربي من التطور

- فاستبدلت الحروف الكوفية في عهد الرسول بشكل آخر أوضح وأجمل وذلك في آخر عهد الخلافة الأموية حيث ظهر رجل عربي اسمه (قطبه) رسم الحروف العربية بما يشابهها في زمننا هذا ولكنها لم تدخل في عهد الفن .

فلما كانت الخلافة العباسية ظهر رجال كثيرون طوروا الخط العربي إلى أشكال كثيرة ووضعوا لكل خط اسماً فبلغ عدد أشكال الخطوط العربية (١٢) اثني عشر قلماً . وممن اشتهر في عهد العباسيين (الضحاك بن عجلان) في زمن السفاح و (اسحاق بن محمد) في خلافة المنصور ومنهم أيضاً

(أبو يوسف - لقوة الشاعر) و (أحمد الكلبى) وابن مقلة كاتب المأمون عنوا هؤلاء بجودة الخط وأعانهم على ذلك ما لقوا من تقدير من الخلفاء والوزراء ومن هنا يدخل الخط العربي مدار (الفن) فاتخذ أشكالاً عديدة ونقوشاً بديعة نقشت على الأحجار - والخشب والنحاس وأصبحت زينة تتربع عرش مجدها في القصور والجوامع والدواوين وحتى في البيوت الأثرية القديمة . هذا الفن كان مبعثه أن الإسلام حرم على المسلمين نحت التماثيل والتصوير والفن لا بد له من الظهور ما دامت الموهبة غريزة في نفوس كثير

من الرجال والنساء فكان أن تحولت المواهب عن النحت والتصوير إلى
النقش العربي والخط العربي فأصبح آية جديدة من الفن أكبر

الروم أمره وأعجبوا بفنه فكانت رسالة المأمون إلى ملك الروم المخطوطة بيد
أبرع الفنانين من الخطاطين العرب تحفة جميلة لم يجد ملك الروم بداً من
وضعها في أبرز مكان في يوم عيدهم تقديراً للفن العربي والزخرفة العربية
البديعة .

ولما انتقلت الخلافة إلى الدولة العثمانية عني الخلفاء العثمانيون ووزراؤهم
وخاصتهم بهذا الفن وأبدعوا فيه وزادوا عليه أنواعاً من الخط العربي كخط
(الرقعة) والديواني ولم يزل الخطاطون في عهد العثمانيون يبدعون في هذا
الفن حتى بلغ الذروة فكانت هناك تحف غاية في الروعة والجمال يدلنا على
ذلك ما نرى في مساجدنا من نقش وكتابة وما تركوا من لوحات غاية في
الإبداع هذا الفن هذا الفن الجميل إنهار دفعة واحدة في زمن قصير بعد ظهور
المطابع وجهل الناس بقيمة الفن وموت الخطاطين المبدعين ولجوء الناس إلى
الكتابة التجارية والدعاية الرخيصة ثم تطور الوضع المدرسي من القلة إلى
الكثرة ومن الجودة إلى الرداءة وأهمل القائمون على العمل هذا الفن حتى
تخرج جيل من المتقنين لا تكاد تفهم كتابتهم لرداءة خطهم وألمي كبير بأن
يهتم المعلمون وأولياء الطلاب بخط أبنائهم منذ الصغر والله ولي التوفيق

.....



المراجع :

- ١- دراسات في تاريخ الخط العربي : للدكتور : صلاح الدين المنجد
- ٢- الخط العربي : محمد سعيد مبيض : الناشر مكتبة العربي

؛